مشكلة الخير والشر عند راشدال

إعداد
نـرميـن فتحـي مصطفـى إبراهيـم
أ.د إبـراهيـم طـلبه سلكـها
أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة ووكيل الكلية لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة
كلية الآداب_ جامعة طنطا

المستخلص:
الانسان هو الكائن الوحيد الذي يجمع بين المادة والروح في مزيج واحد والذي يجمع ايضاً بين دوافع الخير ودوافع الشر في مزيج واحد ايضاً ،واذا كان الأصل فيه هو الخير أو على الأقل يجب علينا ان نفترض ذلك فإن من الجائز أيضاً أن يصبح الشر طاغياً على الأصل أو بالكاد ، وربما ينهزم الشر عند الإنسان لكنه يحتاج إلى انقلاب هائل في أعماق نفسه ، وذلك الانقلاب يستلزم اندفاعاً روحياً ومجاهدة للذات . سوف يتناول بحثنا حقيقة اللذة في رأي راشدال وكيف انها سبب ليس في سعادة الإنسان، بل في شقائه ووقوعه في الشر ، لا نها خداعة وسعادتها مؤقتة وقد استخدم راشدال أمثلته لصياغة وجهة نظره لتفسير طبيعة اللذة باعتبارها تتحكم في الجانب الحسي لدى الإنسان، ومن ثم فهي مسؤولة عن فساد السلوك إذا لم يتم التحكم فيها ، وذلك ما أثبته راشدال مطالباً بضبط الدوافع وتنظيم الانفعالات والتحكم في الشهوات ، كما سنتبين من خلال هذا البحث العلاقة بين العقل والشعور من خلال رؤية راشدال الفلسفية ، والتي قد تساعدنا في الاطلاع على منبع الحكم الاخلاقي.

الكلمات الافتتاحية: مشكلة ؛ الخير والشر ؛ عند راشدال.

الفصل الثاني
مشكلة الخير والشر

مقدمة

موضوع "الخير والشر" من الموضوعات الصعبة في حياة الإنسان ، بل إنه من أشد الموضوعات مثاراً للخلاف ، وقد حدد كثير من علماء الأخلاق الخير بأنه كل ما يحقق المنفعة للإنسان وما هو حق وما يؤدي إلى السعادة ، والشر ما يحدث الألم والجور وما هو مجانب للحق أي : ما يؤدي إلى الظلم ، والإنسان لديه القدرة على التمييز بين الخير والشر ، ويستمد العون من الأديان التي لم تمده بالقيم الأخلاقية والتمييز بين الخير والشر فحسب ، بل ألحت وتلح على أن الأخلاق إنما هي غاية الإنسان في وجوده.[١] إن الإنسان أمام امتحان قاس إذا ما قيس الخير والشر بالمنفعة وما يجلب الفائدة بالنسبة للخير ، وما يحدث الألم والجور بالنسبة للشر ، فإن هناك مظاهر كثيرة لسلوك الخير لا تجلب النفع والفائدة ، بقدر ما تتطلب التضحية ، ومع ذلك فإن الإنسان يقدم عليها راضياً ، كما أن هناك مظاهر كثيرة لسلوك الشر تكلف الإنسان مشقات صعبة وخطيرة ، والإنسان الكائن الوحيد الذي يجمع بين المادة والروح في مزيج واحد والذي يجمع أيضاً بين دوافع الخير ودوافع الشر في مزيج واحد أيضاً ، وإذا كان الأصل فيه هو الخير أو على الأقل يجب علينا أن نفترض ذلك فإن من الجائز أيضاً أن يصبح الشر طاغياً على الأصل أو بالكاد ، وربما ينهزم الشر عند الإنسان ؛ ليعود إلى وضعه ، لكنه يحتاج إلى انقلاب هائل في أعماق نفسه ، وذلك الانقلاب يستلزم اندفاعاً روحياً ومجاهدة للذات.[٢]

وإذا كان الإنسان بطبعه خيراً ، وإن كان سلوكه مرتبطاً بظروف معينة ، فهذا لا يلغي إرادته ، فالإنسان في نمو وتطور مستمرين ؛ ومن ثم يكتسب خبرة حياتية تسهم في صقله ، وإن تجنب الوقوع في أخطائه مرة بعد مرة سيبتعد عن فعل الشر ، وإن تصادق مع ذاته ورفع حساناته وحاول التخلص - قدر المستطاع- من سيئاته فسوف يحقق النجاح في حياته ، ولمعرفة مصدر الشر علينا أن نفهم ما هو الخير أولاً والخير هو الابتعاد عن كل ما يسبب الأذى للفرد والجماعة ، بمعنى : أن يسلك الإنسان سلوكاً لا يضره ، ولا يضر الآخر ، ولعل الخير الحقيقيّ هو أن يقدم الآخر عليه ، وذلك لا يعني : أن يلغي ذاته وإنما يسعى إلى خير الآخر ؛ ليرتد خيره عليه فالخير الذاتيّ دون الآخر قد يسقط في فعل ما نسميه شراً.[٣]

---

(1) www.alriyadh.com 17/8/2021 8:55 Pm.
(2) Loc - cit.
(3) www.diwanalarab.com 17/8/2021 8:00 Pm.

سوف تتناول الباحثة في هذا الفصل حقيقة اللذة في رأي راشدال ، وكيف أنها سبب ليس في سعادة الإنسان ، بل في شقائه ووقوعه في الشر؛ لأنها خداعة وسعادتها مؤقتة كما ستبين في هذا الفصل العلاقة بين العقل والشعور من خلال رؤية راشدال الفلسفية ، والتي قد تساعدنا في الاطلاع على منبع الحُكم الأخلاقيّ **وهذا ما تعرضه الباحثة كما يأتي:**

- **أولاً : طبيعة اللذة:**

اللذة هي شعور عميق براحة الإحساسات وتمتعها بما تشتهيه.[١] فهي إحدى الظواهر الوجدانية الأساسية التي تمتاز بالإحساس بالراحة ويقابل الألم.[٢] وتصنف اللذات إلى ثلاثة أنواع : اللذة الحسية ، واللذة الوهمية ، واللذة العقلية ، أما اللذة الحسية : فتكون بالجسد كالأكل والنكاح ونحوه مما يكون بإحساس الجسد حيث إن أنواع المأكول والملبوس يباشرها الجسد ، وأما اللذة الوهمية : فتكون مما يتخيله ويتوهمه الإنسان بنفسه ونفس غيره كالمدح له والتعظيم له والطاعة له وتكريمه وتقديره واحترامه فإن ذلك لذيذ محبوب له ، وكذلك فوات الكرامة وذمه وإهانته تؤلمه ، وأما اللذة العقلية : فإن يكون الإنسان ما يعلمه بقلبه وروحه وبعقله كذلك كالتذاذ بذكر الله ومعرفة الحق والعدل والخير وتألمه بالجهل سواء أكان الجهل بسيطاً وهو عدم الكلام والذكر أم كان جهلاً مركباً وهو اعتقاد الباطل.[٣] ولقد ذهب راشدال إلى أن اللذة هي الشيء الفعليّ الحقيقيّ للرغبة ، وإذا كان الشيء مرغوباً من أجل اللذة فقط فإنه سيكون عديم الفائدة ومن ثم بلا هدف ، فهناك أشياء أخرى غير اللذة يجب أن تكون مرغوبة (كحب الخير ومساعدة الآخرين)، وسيكون ذلك أمراً جيداً ، وفي الحقيقة إن البشر لا يفعلون دائماً إلا الفعل الذي في حقيقة الأمر ـ يجلب لهم أعظم لذة سوف يقبلون عليها مسرعيين ، ثم يتساءل راشدال هل العالم سوف يكون في أفضل مكانة إذا فعل البشر الفعل المأسوف عليه ، أم إذا إهتموا بمصلحتهم الشخصية ، أم إذا إهتموا بالآخرين وبالعالم ككل؟.[٤]

يتضح مما سبق أن راشدال يقصد النوع الأول من اللذة وهو اللذة الحسية ، والتي قد تجعل الإنسان يتصف بالأنانية النفسية ، حيث تصبح أنانيته الدافع الأساسيّ وراء كل أفعاله ، وإذا أصبح الإنسان أثيراً لأنانيته ولذته فسوف تؤثر في حياته وفكره وتجعله ذليلاً ، وقد تقوده للفجور وارتكاب الآثام ، ويتابع راشدال شرحه للذة مستخدماً عدة أمثلة لصياغتها وفهمها ، فنجده في المثال الأول يقول : "غالباً يقوم الناس بما فعلوه من قبل وحقق المنفعة لهم ، وهم يعرفون جيداً ما يعارض ميولهم

---

(1) https://www.almanny 16/4/2018 9:30 Pm.

(٢) مجمع اللغة العربية : **المعجم الوجيز** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة١٩٩٩ ، ص٥٥٥.

(3) https://www.alu;kah.net 17/8/2021 8:10 Pm.

(4) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, PP. 7-8.

ورغباتهم الحقيقية ، وما يتعلق بإحساس اللذة ، وما يتنافى معها ، فمثلاً مدمن الخمر يشعر بلذة لكنه قد يعاني من آلام حادة ؛ ويسعى إلى التخلص من هذه العادة ، ومع ذلك يقبل على شرب الخمر مدفوعاً برغباته واحساسه الخاطئ بأن هذا الشرب قد يحقق له التوازن النفسي بين الشعور باللذة والآلام المبرحة التي قد تصيبه".[١]

يوضح راشدال في مثاله السابق كيفية سيطرة اللذة على ذلك السكير مندفعاً ورائها حيث تمتلكه وتسيطر عليه سيطرة مطلقة تعميه عن إدراك القبح بالنسبة له ؛ لأنها تصبح هي كل مشغولياته ، وهكذا تضعه تحت رحمتها دون أن يكون له أدنى سيطرة عليها.[٢]

ويسترسل راشدال في حديثه فيقول "من المؤكد أن ذلك السكير في الوقت الذي يتصرف فيه هو لا يشعر أن ذلك الشيء يكون سيئاً بالنسبة له ، فكيف يمكن لشخص يعرف أن ذلك الشيء سيء لنفسه أو مضر له ثم يقترب منه ، كيف لفترة قصيرة أو للحظة يظن العكس؟ مثل هذا السلوك من مدمن الخمر أو السكير لايتوقع تفسيره لمجرد خطأ فكريّ أو جهل فكريّ أو مجرد خطأ إراديّ في الذاكرة ، إذا لو أن الرجل الذي في الصباح يعرف أن شرب زجاجة كاملة من الچين (نوع من الخمر) لم تكن لمصلحته وسوف تسبب له أذى يأتي في المساء ليظن العكس لابد من أن جهله إراديّ ، كما أن من الضروريّ أن نقول : لقد أقنع نفسه أنها لن تسبب له أي ضرر ، وهذا الجهل الإراديّ أثر في قراره.[٣]

نستنتج من ذلك أن الدافع وراء إدمان السكير للخمر هو الحصول على أكبر قدر من المتعة ، والدافع هو العملية العقلية الواعية التي تدفع الإنسان إلى أن يتصرف بطريقة معينة وباستثناء الأفعال التي تقام تحت وطأة الإحساس بالواجب فإن الأفعال التي تتم بالعملية الإرادية الواعية تعد رغبات لدوافع ، فرغبتي في تناول الطعام تدفعني لدخول المطعم وطلب الطعام.[٤] ، ومن ناحية أخرى نستنتج من حديث راشدال أن هناك نمط من اللذة ينجم عن التخفيف من التوتر ، ولكنه يختلف من الناحية الكيفية عن التوتر المتجذر في التوتر النفسي ، حيث إن شخصاً ما قد يشعر بأن رغبة ما إنما ترجع إلى مطالب جسمه في حين أنها في الواقع محددة بالاحتياجات النفسية اللاعقلانية ، فيمكن أن يتولاه جوع شديد لا ينجم من الاحتياج المشروع فسيولوچياً لجهازه

---

(1) Ibid, PP.8-9.

(٢) د.زكريا إبراهيم : **المشكلة الخلقية** ، مكتبة مصر ، القاهرة١٩٦٩ ، ص١٢٦.

(3) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.9.

(٤) وليام ليلي : **المدخل إلى علم الأخلاق** ، ترجمة د.علي عبد المعطي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية١٩٨٥ ، ص٥٥.

العضويّ ولكن الاحتياجات النفسية ؛ ليربطها بالقلق والكآبة.[١] كما أن هناك نوعاً صارماً من الأنانية النفسية ، **وذلك النوع يرتبط باثنين من النتائج :**

- **الأولى** : قد يكون لدى الشخص رغبات كثيرة تتعلق بالأنانية والمصلحة ؛ فمثلاً قد يرغب في شرب البيرة للحصول على اللذة أو في بيعها للحصول على المال ؛ وقد يختلف عليه الأمر فترتبط مثل هذه التصرفات بالمصلحة الشخصية الذاتية ، ودوافع الأنانية.
- **الثانية** : تقوم الدوافع الإنسانية على مبدأ أساسي هو حب الذات أو المصلحة الشخصية ؛ سواء أكانت هذه الدوافع مرتبطة بالشرب أم البيع والشراء وما يحقق المتعة.[٢]

ويتابع راشدال شرحه للسكير فيقول : إن رغبته تؤثر على إرادته وبالتالي التشويش على قراره والتأثير عليه أي : رغبته لأجل أعظم لذة على وجه العموم بالنسبة له ، وباستمرار يظل يتصرف هكذا ، ولكن يجب بطريقة ما تغيير اعتقاد ذلك الشخص بأن أعظم لذة بالنسبة له أكذوبة وتكمن في الثمالة أو السكر.[٣]

نلحظ أن راشدال يحاول - بمثاله عن السكير- أن يبين العلاقة بين الإنسان واللذة بما لها من سيطرة على الإنسان تعميه عن اختيار الصواب ، فيربط مثلاً بين اللذة والأمر القبيح ، ويبدو من وجهة نظر راشدال أن اللذة أمر غير محبذ ومكروه ؛ وذلك لأنها تكرس الانقياد والاستسلام وتجعل الإنسان يؤثر حياة البساطة والسهولة ، وتردي المرء سجين دكتاتورية الأهواء ونوابض الجسد اللاواعية وإذا تركنا لها بوصلة القيادة فإنها ستغرق الجسد في فوضي الحواس وتناقض الرغبات.[٤] إن اللذة الحسية هي الشر الأقصى ؛ لأنها تدفع الإنسان إلى ارتكاب الخطأ في حياته ، فالإنسان إذا أدرك حقيقة اللذة فسوف يجد أن لذته هذه لم تكن سعادة ولم تكن حقيقة أو عقلاً بل هي انفعال في باطن الأنا فإذا أدرك ذلك جيداً عندئذ تهدأ براكين الأنا وتنطفئ اللذة.[٥] وغالبية الناس ، ولاسيما السوقة منهم يفضلون حياة اللذة ، أي : حياة العبيد والبهائم على أي شيء آخر ، وهم يطابقون بين اللذة والخير الأقصى ، أي : السعادة ، وهذا هو سبب انغماسهم في حياة اللهو والمرح واللذة ولا يمكن أن تكون اللذة هي الخير الأقصى للإنسان ؛ لأن الإغراق في ممارستها يجلب الضرر والأذى ؛ ومن ثم لا تتحقق السعادة ، على أن اللذة ليست شراً في ذاتها على وجه الإطلاق فإنها تكون مصاحبة لإتمام أي فعل ؛ ونتيجة مباشرة له ، وقد تكون شرطاً لتحقيق الخير

---

[١] إريك فروم : **الإنسان لنفسه بحث في علم النفس** ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مكتبة دار الحكمة ، القاهرة ٢٠٠٩ ، ص١٩٤.

[2] Francis snar, **"the nature of moral thinking"**, Routledge, New York 1992, P.52.

[3] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.9.

[4] https://www.ssraw.org 17/8/2021 8:20 Pm.

[5] www.maber 18/4/2018 8:15 Pm.

الأقصى ، أما اللذة التي يجب استيبعادها من مفهوم السعادة فهي اللذة الحسية التي تطلب لذاتها وتكون وحدها غاية الأفعال الإنسانية.[١] ، فالناس من المؤكد أنهم لابد من أن يتحملوا العواقب ، ويعد من الواضح ما يسوغ أو يفسر القيم الأخلاقية على الرغم من أن بعضاً منهم يتبعون مبادئ أخرى ، فمثلاً المدخنون الشرهون يكونون متأكدين أنهم متجهون أو في طريقهم إلى الوفاة المبكرة ؛ بسبب سرطان الرئة ، إن الناس يأخذون في الاعتبار بعض المبادئ المشوشة ، في حين أن كثيراً منهم يلجأ إلى ضبط النفس القوي جداً.[٢] وبذلك يمكن القول : إن الكائن الإنسان هو أقدر كائنات الطبيعة على مراقبة دوافعه والعمل على قمعها أو إبدالها أو إعلائها وهذا هو معنى القول بأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن يستبدل بالنظام الحيويّ للحاجات نظاماً خلقياً للقيم.[٣]

أما المثال الثاني فيصور فيه راشدال كيف أن الإنسان ينجذب إلى اللذة الأكثر قوة وجاذبية من الأكثر بُعداً ، حيث يقول : إن متعة تناول شيء سيء جداً لشخص من أنصار التلذذية لا يعطي أهمية لعُسر الهضم الذي سوف يكون ذلك الشيء سببا له ، الألم ربما يكون دائم وشديد ، فمثلاً إسأل شخصاً حساساً في عملية الهضم أن يأكل صلطة الكركند ، إسأله في الصباح وإسأله قبل العشاء ، إسأله حين يتذوق حسائه ، فسوف يقول "لا" بشدة إنها شبه متعارضة معي دائماً ، لايمكن المجازفة والإحساس بسوء الهضم الذي سوف يؤثر فيّ طويلاً ليزعجني أكثر من السنة الماضية ، ومع ذلك فإن ذلك الشخص يستكمل العشاء ويسترسل في المحادثة وازدياد الكحل ويحدق بسلطة الربيان أو الكركند وهو يأكل.[٤] في مثل هذه الحالة يمكن تفسير حالة هذا الشخص وهو يحدق في سلطة الربيان أنه يقول لنفسه من الممكن إذا تناولتها لم تكون العواقب أكيدة ، من الممكن أن أتناولها دون معاناة كثيرة ، أنا أكون أفضل من آخر مرة أكلتها ، إن ذلك الشخص هو- بلا شك- مقتنع تماماً بعدم استحسان أكلها ، لذلك من الواضح أنه في تلك اللحظة حذر من اللذة الحالية ، وبقدر ما تكون رغبته هي حقاً الرغبة في اللذة ؛ وعلى الرغم من أنه يرغب بالإستمتاع بلذته ، إلا أنه حذر في قراره ، والتحذير مستمد من الرغبة التي تقيه وتسبب له التوازن السليم ضد الآم المستقبل.[٥]

---

[١] د.محمد على أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو والمدارس المتأخرة** ، دار الوفاء ، الإسكندرية ١٩٩٠ ، ص٦.

[2] James Hemming, **"individual morality"**, Western Printing servies, Bristol 1969, P.62.

[٣] د.عبد الوهاب جعفر : **مذكرة في فلسفة الأخلاق** ، كلية الأداب ، الأسكندرية ١٩٩٠ ، ص٦.

[4] Hastihngs Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, PP.9-10.

[5] Loc-cit.

* **مذهب اللذة السيكولوچي** : وهو أقرب إلى النظرية النفسية منه إلى المذهب الفلسفي ، ويقتصر على بحث سلوك الناس الفعلي ، فاللذة هي الشيء الوحيد المرغوب فيه بوصفه غاية في ذاته ، والاهتمام الوحيد للأخلاق في هذا المذهب هو الطريقة التي يمكننا بها تحقيق أكبر قدر من اللذة أو النجاح إلى أقصى حد في تجنب الألم.

يؤكد راشدال أن الإنسان يرغب في إحدى اللذات ، فهو يرغب فيها بدلاً من الأخرى ؛ وذلك لأنها أقوى جاذبية له ، ويذكرنا راشدال في رأيه بمذهب اللذة السيكولوچى.[*] ،حينما رآى أن الإنسان عادة لايفعل إلا ما يحقق له أكبر قدر من اللذة عامة.[١] (أي : إذ أن الشخص تعرض لشيء ما سوف يحقق له لذه ؛ ثم وجد أمامه شيئاً آخر يجلب له لذة ومتعة أكثر ، فسوف يسرع مختاراً الأقوى والأكثر جاذبية بالنسبة له) ، كما يذكرنا أيضاً بمذهب المنفعة العامة حينما قال بنتام : إن الإنسان يبحث عن أكبر قدر من السعادة ، ولكن "بنتام قال بحساب اللذات التي تجعل سلوك الإنسان منضبطاً كما يدعي حيث يرى أنه لكي يسلك الإنسان سلوكاً حسناً يجب عليه أن يعد حساباً للذات والآلام ولقيمها النسبية ، يجب أن يكون قائد المرء في حياته حساب اللذات".[٢] ولقد علق راشدال على هذا الرأي فنجده يقول : "وفق حساب اللذات أن ما يكون مرغوباً يكون أفضل من مجموع اللذات ، وحين تتعارض لذتان قريبة وبعيدة ، فاللذة القريبة هي الأكيدة فعلاً ، حيث يلزم على المبادئ البنتامية للبرهنة بمساواة الجاذبية وتعادلها ، أنها مسألة الخبرة التي دائماً (لا تتحقق) ، لذلك فالرغبة تطلب اللذة الأقوى وتنشدها ، وعلى حساب بنتام ، أن اللذة في اليد كمثل لو كانت بما تعادل اثنتين على الشجرة ، وعندما تتساوى اللذة على الشجرة تكون بكل تأكيد تعادل تلك التي في اليد ! هذا الأسلوب تعد أهميته محدودة طالما المزية الوحيدة التي يمكن أن تعطي لذة واحدة أعلى جاذبية مقارنة ببعض اللذات الأخرى التي من المفترض أن تكون أكثر قرباً ، ولكن هذا الاعتراف ربما يمهد الطريق لإدراك حقيقة أن هناك أسباباً أخرى إذا جاز التعبير تفاضلية في المتعة أو اللذة ، بالإضافة إلى القوة المتوقعة أو المحتملة ، والقرب.[٣] ، ولكن نحن نتساءل هل كان بنتام متماشياً مع الواقع من خلال حسابه للذات.[٤]

ويتابع راشدال ويأتي بمثال آخر يصور فيه ، تصرف شخص قاس غليظ ، يجهل قواعد السلوك الصحيح وآدابه ، تسيطر عليه اللذة العمياء وتقوده إلى الشدة والقسوة فيقول : "فمثلاً شخص همجي مدمن تسيطر عليه اللذة ، عندما يتعدى هذا الشخص بالضرب على زوجته في حدث معين ، وفي نفس هذا الحدث ، إذا قدم له كوب من البيرة سوف يتوقف ويتدلى ليتناولها بسرعة ، فإذا إنه فكر بهدوء وبرصانة سوف يتوقف عن سلوكه الهمجي ، لكن في لحظة غضبه لم يجل الفكر أو يحاول ان يستبصر ، فعقله يكون مركزاً على تصور واحد : وهو المتعة أو اللذة ، لإشباع

انظر : Https://Philos.joumals.ekb.eg. 15/9/2021 11:21 Pm

[١] وليام ليلي : مرجع سابق ، ص ص ٥٩-٦٠.

[2] Art.tanta.edu.eg 17/8/2021 8:30 Pm.

[3] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.12.

[4] Art.tanta.edu.eg 17/8/2021 8:30 Pm.

رغبته الهمجية ، وبالتأكيد ذلك الشخص يفشل في الحصول على مخرج من حالته ، لكن إذا تساءلنا لماذا لم يفكر بإمعان؟ قرار التفكير بالتروي أو عدم التروي ، الفكر هو عمل اختياريّ وإرادي كالقرار للضرب أو عدم الضرب".[١]

يبين راشدال سلوك الشخص الهمجي بأنه ذلك الذي يشعر بغضب وهو ينفس ويفرغ هذا الغضب في صورة عدوان وعنف وفرض قوة على زوجته ، ويصور راشدال من خلال مثاله السابق عنف الأهواء وقسوتها بسبب سيطرة اللذة والتي جعلت ذلك الشخص وكأنه مشلول التفكير ، وكأن فكره محصور على إشباع رغبته الهمجية وسلوكه الصارم ، ، ولقد استخدم راشدال هذا المثال ؛ لكي يشير به إلى أن الإنسان ينبغي له بالتروي في أموره قبل أن يتخذ أي قرار : أي يفكر ملياً ويتأنى فيها ، وعكس ذلك فسوف يتملكه التسرع والغلواء والحدة والطيش وتظهر الرعونة والحمق والغباء فيما يقول أو يفعل فإذا أدرك الشخص " حقيقة اللذة فسوف يتيقن أنها ليست سوى متعة تافهة حقيرة لن يكون لها غد".[٢]

ثم يصرح راشدال : نعترف بوجود الشهوة في نفس الإنسان غير أننا نفسر الشهوة باعتبارها مسئولة من التأثر بأقرب لذة من أبعد لذة ، تلك القوة المحركة المستحوذة في لحظات معينة بواسطة لذة واحدة مقارنة بالآخرى التي تهدأ بالمراجعة ، لذا يجب الثبات أو التماسك بواسطة ضبط النفس بشكل جيد وذلك بالنسبة للذات القوية بدرجة كبيرة ، وأيضاً القريبة ، أي : كل اللذات السيئة التي تقهر الشخص وتجعله اثيراً لها ، ينبغي في الحال الضبط أو الكبح (ضبط النفس وكبحها) واليد المرفوعة ، وتحويل ملامح الغضب ، وإذا كان أي شخص حقاً مهيأ أو مستعداً لتحليل الشهوة لا يكون هناك المزيد من القول.[٣]

يمكن الإشارة هنا أن أحد أبعاد الإنسان هو بُعد اللذة والسعادة ، أي أنها من أهم الأشياء التي تثير اهتمامه ويسعى دائماً لطلبها ، فالإنسان يحب اللذة فطرياً ويسعى إليها بمختلف القنوات ، والغرائز إحدى قنوات اللذة ، أما العاطفة فهي النوع الثاني من قنوات اللذة الإنسانية.[٤] وهي مشاعر جياشة وقوية تهيمن على أفكارنا ، وتستحوذ على كل ما فينا.[٥] ومن ناحية أخرى يتبين لنا أن الشهوة هي المسئولة عن ضعفنا أمام اللذة والشهوة هي ميل ورغبة كلما حاول صاحبها إشباعها كبرت وطلبت المزيد ، وهناك العديد من الشهوات عند الإنسان ، ونستطيع أن نصنفها إلى نوعين :

---

(1) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.13.

(٢) د.زكريا إبراهيم : **المشكلة الخلقية** ، مرجع سابق ، ص١٢٧.

(3) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.14.

(4) www.mesbahyazdi.org 12/4/2018 10:00 Pm.

(5) https://www.kalimatalhayat.com 17/8/2021 9:40 Pm.

الشهوة الجسدية وهي تشتهي الأشياء التي يطلبها الجسد كالأكل ، والشرب ، والجنس. والشهوة الروحية وهي تشتهي الأشياء التي تطلبها الروح كالقراءة الدينية ، والتأمل بالطبيعة ، والموسيقي.[١] وكما أن الشهوة كما ذكر راشدال هي المسئولة عن ضعفنا أمام اللذة ، وعلى الرغم من سيطرة العواطف ومدى تحكمها فعلينا ألا ندع الشهوة والعاطفة تقودنا وتتحكم في قرارتنا فكل قرار مبنيّ على المشاعر والأحاسيس يكون فاشلاً ومدمراً لكن علينا أن نستخدم المنطق السليم والعقل الحكيم وهذا ما يقصده راشدال في شرحه السابق بالثبات والتماسك بواسطة ضبط النفس وكبحها ، أي : تهذيب الإنسان لنفسه وسيطرته على قواه العقلية وقدراته الحسية أو مشاعره أو سلوكه وتصرفاته ، و بالاتزان والرشاد والرصانة والروية يستطيع أن يحكم نفسه ويتغلب على اللذة التي هي في الأصل "خيالات غير حقيقية".[٢] ولكن السؤال هنا كيف يستطيع أن يتيقن الإنسان حقيقة اللذة والتغلب عليها؟ اللذة كما ذكرنا من قبل هي شعور عميق براحة الاحساسات وتمتعها بما تشتهيه ، وهي حالة أو شعور بالرضا والاستمتاع والبهجة ترتبط بمواقف وأحداث تسر الشخص وتشبع رغباته ، ويعد البحث عن اللذة والهروب من الألم خصيصتين من خصائص الكائنات الحية ؛ لذا فالإنسان يبحث عن المفيد وما يمنحه اللذة ، ويبتعد عن غير المفيد وما يسبب له الإزعاج.[٣] والإنسان إما خير يرفض الشهوات والملذات وهو الذي يشعر بحب الخير ، وإما شرير شهوانيّ وهو الذي يقبل دائماً على اقتراف الشر الذي تتصف به طبيعته وطبعه ، فالإنسان بين حالتين إما العفة والحلم وإما الشهوة والغضب ، ولديه عقل يدرك به العلم والمعرفة ، والفرق بين الحقيقة والخيال ، وبين الحق والباطل ، فإذا اتصف بالعفة والحلم اتصف عقله بالصلاح والحكمة وتميز الإنسان بهدوء الأعصاب ، وإذا اتصف بالشهوة والغضب اتصف عقله بالفساد وحكمته اللذات ، وكذلك حكمه الغضب ، وذلك الشخص يجهل بالأخلاقية ، وينشغل بحب اللذات ؛ ومن ثم ينجرف نحو تيار الرذيلة ، ويصبح لديه شوق في داخله يدفعه إلى طلب الشهوات والتمتع بها ؛ ومن ثم يندفع إلى ارتكاب الخطيئة.[٤] ليس في الدنيا شيء من المصاعب والمشاق إلا وفي قدرة الإنسان أن يتغلب عليه بطول الرياضة والممارسة ودوام التثقيف أو التهذيب ، فيلين كل صلب ويسهل كل صعب وليس من هوى من الأهواء النفسية وإن اشتد إلا في الطاقة إخضاعه على طول الزمن بالدأب على المعالجة والتدريب ، وقوة الإرادة وثبات العزيمة لا يتعاصى عليهما

---

(1) https://Ar.wikipedia.org 15/4/2018 7:20 Pm.

(٢) د.منى أحمد محمد أبو زيد : **مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩١ ، ص٢٠٥.

(3) https://www.arab 18/4/2018 8:30 Pm.

(٤) أبو حامد الغزاليّ : **إحياء علوم الدين** ، ترجمة الحافظ العراقيّ ، ج٢ ، م.مصر ، القاهرو ١٩٩٨ ، ص١١.

أمر ولا يعجزهما بلوغ غاية ، فالإنسان يمكن أن يستعمل قوته في التغلب على الغضب ، ففي التغلب عليه ما لا يحصى من الفوائد العظيمة التي منها راحة الفؤاد وسكون البال وصفاء الخاطر وسعادة النفس.[١]

ويواصل راشدال لأن الشخص الذي يقع تحت سيطرة اللذة والتي قد تجعله سريع الغضب ولا يمعن التفكير ، هكذا يندفع إلى قراره الذي ينقصه الحكمة ، ويفشل في الوصول إلى المعنى المعقول للذة ، ولكن السؤال هنا ما السبب الذي يجعل الشخص في بعض الأحيان يفضل بالتأكيد إحدى اللذات على الأخرى؟ بالتأكيد إنها رغبات الشخص نحو اللذة ، حيث إن لذته تقدم شيئاً له ما دام هو يحصل منها على ما يكفيه لكن وجود الشهوة هي بحد ذاتها دليل أو برهان كاف على رغبته في نوع معين من اللذة ، إن دافعه منعكس على ما يناسب رغباته ، والأفعال إرادية ، والحقيقة أن رغبة واحدة تكون أقوى من غيرها ، والسبب يكون أكذوبة في بنية الجسم الطبيعية ، أو في المؤثرات الخارجية ، فالأفعال إرادية ، والتأثير بواسطة إثارة الدافع للفعل أو التصرف داخل الوعي ، بمعنى : أنها الرغبة.[٢]

يتبين لنا من حديث راشدال أن الرغبة هي الحاجة وما يريد الإنسان وما يشتهيه ، وهي السعي إلى الحصول على متاع ، ونجد الرغبة في علوم النفس هي إحدى الجهات الدفاعية في النفس والتي يصدر فيها وعنها الأزمات النفسية.[٣] ولا يوجد أي فرق بين الشهوة والرغبة ما عدا أن الرغبة تتعلق عموماً بالإنسان من حيث إنه يعي شهواته ، وذلك كما يقول سبينوزا : فالرغبة نزوع مصحوب بوعي.[٤] فهي شهوة واعية وذلك ما يقصده راشدال ، أما الشهوة فهي نزوع غير مصحوب بوعي ؛ لذلك يمكن القول عن الشهوة : إنها طابع غريزيّ حيوانيّ ؛ ولذلك فهي تتعلق عموماً بالإنسان من جهة وعيه بشهواته ، إذاً الرغبة هي الحاجة إلى حصول على اللذة ، فمثلاً : إذا رغب الإنسان في الفضيلة فسوف تكون لذته الصلاح والحكمة التي هي الخير المطلوب والسعادة القصوى ، أما إذا رغب الإنسان في الرذيلة فسوف تكون لذته الشهوات ، أي : اللذة الحسية المقترنة بالشهوات ، وهي تزول سريعاً وتنقضي وشيكاً بل تنقلب لذاتها فتصير غير لذات ، بل تصير آلاماً كثيرة أو مكروهة بشعة مستقبحة ، ولقد قال الحكماء : إن اللذة إذا كانت صحيحة ساقت البدن من النقص إلى التمام ، ومن السقم إلى الصحة ، وكذلك تسوق النفس من الجهل إلى

---

[١] محمد أحمد جاد المولى : **الخلق الكامل** ، ج٤ ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ٢٠٠٥ ، ص ص ٣٩٦-٣٩٧.

[2] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.14.

[3] www.almougem.com 17/8/2021 9:50 Pm.

[٤] سبينوزا : **علم الأخلاق** ، ترجمة جلال الدين سعيد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ١٠٠٢ ، ص٩٨.

العلم ومن الرذيلة إلى الفضيلة.[١] إلا أن هنا سراً ينبغي أن يقف عليه الفرد ، وهو ميله إلى اللذة الحسية ميلاً قوياً جداً ، وشوقه إليها شوقاً مزعجاً ، ولاتزيد العادة في القوة الطبع الذي لنا كبير زيادة لفرط ما جبلنا عليه في البدء من القوة والشوق ، ولذلك متى كانت هذه اللذة حسية قبيحة وهون على نفسه منها كل صعب ، ولايرى موضع الغلط ولا مكان القبح ؛ حتى تبصره الحكمة ، وأما اللذة العقلية الجميلة ، فأمرها بالضد ، وذلك أن الطبع يكرها فإن انصرف الإنسان إليها بمعرفته وتميزه احتاج فيها إلى صبر ورياضة ؛ حتى إذا تبصر فيها وتدرب لها انكشف له حسها وبهاؤها ، وصارت عنده بمكان في الحسن.[٢] ومن ناحية أخرى أن الإنسان المعتدل لا يستفزه الغضب ، ولاينفعل بأثر الحوادث في نفسه ولا في غيره ، والغضب لا يحدث إلا بإرادة النفس.[٣] والإنسان محصور بين جانبين : الجانب الأول هو الفضيلة التي تتمثل في الحكمة ، أما الجانب الثاني فهو الرذيلة والتي تكمن في دوافع الشهوة والغضب ؛ وتلك الرذيلة تجعل الإنسان في حالة وحشية ينشد اللذة ، وكأن اللذة فخ تدور حوله النفس البشرية حائرة متحيرة ، مما يدفع الإنسان إلى فقد إرادته ؛ ومن ثم يقع تحت تأثير الدوافع العمياء فيندفع إلى السيادة والتحكم والغرور ؛ لإرضاء غرائزه الهمجية وأغراضه الشرسة من دون وعي ودون مقدرة على كبح جماحها أو صدها عن غيها ، فمثلاً اللذة بوحشية كما يقول راشدال : "تكون بلا شك هدفاً أقصى للانتقام أو الثائر ، وربما تكون أكثر دقة معبرة أو بوصفها رغبة لنوع معين من الانفعال الجسدي الذي يعطي لذة شبيهة بأي إحساس جسدي آخر ؛ تلك اللذة في طبيعة الإنسان الوحشي ، فالوحش غير قادر على التحدث بشأن الوحشية إطلاقاً أكثر من أنه قادر على أن ينغمس فيها بتعمد ، وذلك الدافع ناتج عن رغبته.[٤] ثم يؤكد راشدال الرغبات الزاهدة لأجل أغراض أخرى أفضل من اللذة ، أي : الرغبات الخيرة.[٥]

ويطالب راشدال في إطار تحليله السابق بالتمسك بالزهد وبذل المجهود ؛ قصد التهذيب ، أي : نعمل على تغيير أخلاقنا إلى الأفضل ، وعندما ينوي أحد منا تغيير أخلاقة إلى الأفضل فإنها ليست كلمة سهلة ولا فعلاً سهلاً ، ولكنها تحتاج إلى مجاهدة وقوة وصبر ؛ حتى يتم التغيير بالكامل إلى الأفضل ، وعلى كل منا أن يعلم ما النقص الحقيقيّ داخل أخلاقه ، وما الخلق الناقص بداخله ؛ حتى يقوم بتغييره ويعيش في سلامة صدر وسلامة قلب تنعكس على تصرفاته وتجعله

---

[١] ابن مسكويه : **تهذيب الأخلاق** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص٨٥.
[٢] الموضع نفسه.
[٣] محمد أحمد جاد المولى : مرجع سابق ، ص ص ٣٩١ – ٣٩٢.
[4] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.17.
[5] Loc –cit.

يكسب من حوله.[١] أما اللذة فنتوسع في معناها توسعاً يصبح معه معنى اللذة غير محدود كلفظ الخير.[٢] ويمكن القول : إن كل إنسان لديه القدرة وعنده المسئولية لضبط نفسه وتحسين ذاته ، فهو يستطيع تنميه قدراته وإمكاناته ؛ لتسير باتجاه هدفه ، حيث إن العمل من أجل ذلك يبدأ بفهمه لذاته ، وفهمه للهدف الذي يريد تحقيقه أو الأهداف التي ينشدها ، يستطيع الإنسان أن يختبر تجاربه الشخصية ، وكما يقول راشدال "الخبرة أو التجربة تقود الإنسان إلى القرار".[٣] فالإنسان عليه أن يقيم تجاربه ثم يعيشها ، ويأخذ منها الفائدة ؛ للسير نحو الهدف الصالح الذي سيصبح عنوانه إلى الحياة ؛ الهدف الذي سيعطي حياته المعنى والروح والإحساس بالسعادة ، وعلى الإنسان أن يقيم إدراكه للبيئة والمحيطين به ثم أن يقيم نفسه وأعماله ، وأن ينظر إلى واقعه الداخليّ ، وأن يتأمل الإنسان داخله جيداً فهو أفضل من أن يرى هذا الداخل.[٤] وكل خبرة ، وكل تجربة في الحياة جديرة بأن تغلق شكاً ، أو قلقاً أو ارتباكاً ، ومن هذه الخبرة يبدأ الإنسان في تحسين البناء الداخلي الذي يسكنه ، ويتقبل هذا الواقع وينسجم معه ويعيشه ، والإنسان قادر على تحمل مسئولية ذاته الذي قادر على أن يغير فيها ، ويطور فيها ، ويرفعها ، ويجعلها تحلق في محيطات من السعادة والرضا ، والإنسان يعيش هذه الحياة مرة واحدة ، فلابد أن يثق في قدراته ثم يطورها ويستفيد من الأخطاء من التجارب موجبها وسالبها ، والإنسان حر منفتح على خبراته ، هكذا يستطيع أن يكون ، فكل مشاعره الإيجابية (الشجاعة والكرم) ، والسلبية (كالخوف والألم) لا تشكل له تهديداً ، فالإنسان قادر على العيش باستمتاع في كل لحظة من حياته ، فالخبرات في كل لحظة تتجدد ، فهي خبرات جديدة ، فحياة الإنسان دائمة التغير هكذا يمكن إدراكها ، وهكذا فعلى الإنسان ألا ينسج الجديد منها على شاكله القديم.[٥] ويمكن القول : إن أخلاقنا تستحسن ضبط النفس النفس والتحكم ووضع الشهوة تحت التفكير الصائب والتحكم أو السيطرة المعقولة.[٦] والخبرة والتعلم تساعد في تربية السلوك وحسن العمل ، ولكي يستطيع الإنسان أن يكون لديه خبرة ، فلابد من بذل المجهود ؛ ليصبح أكثر نضجاً وأكثر قدرة على حل مشاكله ، والمعرفة والتعلم يعينان الإنسان على اتخاذ القرار السليم في تصرفاته ومثلما يقول راشدال : "إن المعرفة معترف بها بقوة أنها مثمرة خصيبة لأي شيء إلا اللذة".[٧] فلابد للإنسان من أن يوجه نشاطه العقليّ في اكتساب

---

[١] د.فاطمة حسين : **الأسس الأربعة لبناء الشخصية** ، ن للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠١٤ ، ط١ ، ص١٠.
[٢] لويز دكسنون : **فلسفة الخير** ، ترجمة رمزي حليم يسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص١٣.
[3] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, P.14.
[٤] د.عبد الفتاح الخواجة : **علم النفس العلاجيّ** ، دار البداية ناشرون وموزعزن ، عمان ٢٠١٣ ، ط١ ، ص ص ٦١-٦٢.
[٥] الموضع نفسه.
[6] James Q Wilson**, "the moral sense"**, Macmillan, New York 1993, PP. 97, 98.
[7] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.16.

المعرفة والخبرة ؛ من أجل التطلع إلى العواقب والنتائج الخيرة والأخذ بالأسباب المؤدية إلى تحصيلها ، ومن أجل معرفة العواقب الشريرة والأخذ بالأسباب المبعدة عنها ، وبذلك يربي العقل على الربط بين النتائج والأسباب في كل ما يفيد الإنسان من خبرات وثقافة ، ويوجهه نحو الأخذ بأسباب الخير والبعد عن أسباب الشر.[١]

- **ثانياً : الرغبة في عمل الخير:**

ذهب راشدال إلى أن الاختلاف بين الأشخاص بواسطة القانون الطبيعيّ لكل فرد منهم ، فكل فرد يختلف عن الآخر في تصرفاته وأفعاله ، وذلك تبعاً للقاعدة التي يسير وفقها عالمه الداخلي ، فالشخص إذا أعجبه شيء أو رغب فيه فهو يقوم باختياره بدلاً من الآخر ؛ فمثلاً هناك أشخاص لا يمتلكون فضيلة العطاء ، وبالتالي لايهتمون بها ولا يشعرون بأي لذة تجاهها لأنهم ليسوا محسنين ، ولا يحبون صنع الخير ، ومن خلال التحليل السيكولوچي للذة يتضح أن سعادة الشخص في تحقيق رغبته ، فالمحسن أو الخير يشعر باللذة والسعادة عندما يقدم الإحسان للآخرين ، وهو يشعر بالسعادة لأنه يتمتع برغبة تحقيق الخير لهم ، بل وللبشرية ككل ، وفي حالة عدم وجود مثل هذه الرغبة ، فإن السلوك يتنافى مع حب الإحسان بسبب عدم الرغبة في تحقيقه ومن ثم اجتنابه ، فالعطاء أو الإحسان يقتصر فقط على الإنسان الخير المعطاء الذي يصبح في قمة السعادة في وفائه للآخرين ، وبذلك فإن اللذة تنشأ من الشخص نفسه بشكل خالص متجهة به نحو إرضاء شهواته أو الانتصار على كل إغراء.[٢]

نستنتج من الرأي السابق أن الإنسان يختلف عن غيره تبعاً لقانون أو دستور طبيعته ، فبالطبع كل إنسان يمتاز عن غيره في طبيعة السلوك والأفعال ونمط الحياة الذي يمنحه الفرح والسرور ، فهناك الشخص العاقل الذي يدرك حقائق الأشياء والذي يعقل الأمر ، المتزن في سلوكه ، مستقيم الفطرة والغريزة ، وهناك الشخص الطائش المنحرف عن السلوك القويم ، الفاسد في ميوله وتصرفاته ، أي : هناك شخص أخلاقيّ وآخر لا أخلاقيّ ، والاثنان يختلفان تبعاً للحالة التي تتصف بها شخصية كل منهما ، أي : هيئتهم الشخصية ، ومن جهة أخرى أن عمل الخير الذي يصدر من الإنسان يرجع إلى تكوينه ومدى ميوله ، فإن كانت طبيعته خيرة فالخير هو الذي يشبع غريزته وهو الذي يكون هدفه السلوكيّ وغايته المثلى ، فكل ما يرغب فيه أو يحبه ويريده هو خير وذلك الخير هو شرط سعادته ، وذلك ما يقصده راشدال ، فالإنسان يبحث دائماً عن اللذة

---

[١] عبد الرحمن الكحلاوي : ابن القيم الجوزية **"دراسة موضوعية تحليلية تربوية"** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩١ ، ط١ ، ص ص ٢٧٠ – ٢٧١.

[2] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, PP. 15-30 Pm.

المتمثلة في غريزته ، وكما قال أرسطو : "إن اللذة تواكب جوهر النوع البشريّ".[١] أي : إذا كانت غريزة الإنسان حب الخير ، فالخير هو الذي يشبعها أما إذا كانت غريزته شريرة فلا يرضي رغبته إلا الآثام والشرور ، ونستطيع تأكيد ذلك من خلال رأي راشدال ، حيث يقول : "إن الشخص الذي تكون رغبته عدوانية فإن رغبته هذه هي مغرض ضغينة نحو الجنس البشريّ على وجه العموم".[٢]

ويواصل راشدال حديثه : إن المسألة التي نناقشها هنا هي ما إذا الإنسان قادراً أو ذا استعداد للاهتمام بأشياء أخرى غير الشعور الجسديّ ، فالفائدة في تحكم الإنسان في ذاته وإجبارها وإلزامها بتحقيق الاتزان ، إن الشيء الممتع لاشك بأنه يكون محرضاً وفق الاهتمام الطوعيّ أو الإراديّ أو ضعيفاً ومتضائلاً بواسطة المسعى الطوعيّ أو الإراديّ لفعل التجريد الذي من خلاله سيتم استنباط السلوك ، وأنه من المهم الإصرار على مدى الأساس الكامن للرغبات الزاهدة.[٣]

إن الإنسان يلتمس بالفعل كل ما يحقق لذته أو منفعته في كل فعل يأتيه ، وحياة الإنسان تخضع لسيطرة دوافع نفسية تتمثل في وجدانات اللذة والألم.[٤] والفعل الخير هو الذي يحقق أو يتوقع صاحبه من ورائه أكبر قدر من السعادة ، والإنسان الخير مبدأه في الحياة هو تحقيق الخير ، وذلك الخير فيه سعادته ولذته الحقيقية ، أما الإنسان الذي غايته في الحياة تقوم على تحقيق اللذات الحسية فهذا الإنسان مثل الخنازير مبدأه في الحياة يتمثل في الشهوات.[٥] وهو الذي يجد صعوبة في ضبط نفسه وحكمه لذاته ؛ ذلك الشخص إنسان ناقص ، سلوكه مريض.[٦] والإنسان لديه قوى عُليا هي القوة العقلية التي تنزع إلى ما يشبعها من لذات ، وتسمو بمتع العقل والوجدانات والخيال ؛ حتى ترفعها فوق لذات الحس ، وقليل من الناس من يرضى أن يكون حيواناً وضيعاً وأن يقنع باللذة البهيمية ؛ لأن العاقل لا يقبل أن يكون معتوهاً ، والمتعلم لا يسره أن يكون أمياً.[٧] ولقد طالب راشدال في شرحه السابق بالسيطرة على اللذة ، وذلك بالمسعى الإراديّ لفعل التجريد وهو عملية يتم من خلالها اشتقاق المفاهيم من استخدام المفاهيم الحرفية وتصنيفها مثل : (معرفة الحقيقة).[٨] وما يقصده راشدال هنا هو أن يقوم الإنسان بتوجيه هدفه بالإدراك الصحيح لحقائق

---

[١] عبد الرحمن بدوي : **أرسطو** ، مرجع سابق ، ص٢٥٧.

[2] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.17.

[3] Ibid, P.18.

[٤] د.توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، مرجع سابق ، ص ص ١٩٤ – ١٩٥.

[٥] ليليان موري : **تعليم الأخلاق** ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت٢٠٠٣ ، ط١ ، ص٥٩.

[6] Adam Smith, **" the theory of moral sentiments "**, Prometheus Book, New York 2000 , P.29

[٧] ليليان موري : **تعليم الأخلاق** ، مرجع سابق ، ص٥٩.

[8] https://Ar.wikipedia.org 17/8/2021 9:55 Pm.

الأشياء باعتباره إنساناً بالغاً يتصرف بارتقاء ، فلابد من شفافية الفهم والقدرة على الاستيعاب والتأمل والتفكير وهكذا يتنبأ بالحقيقة .

وأخيراً نجد راشدال بعد ذلك يبين كيفية تحقيق الشخصية المتوازنة بين الحقوق والواجبات أي : التعامل الجيد مع الذات والتعامل المتوازن مع الآخرين ، وذلك من خلال اتزان الرغبة لتحقيق الهدف المثاليّ فنجده يقول : "الرغبة لتحقيق الخير الأخلاقيّ لأنفسنا تتضمن النهوض بإتمام ذلك الهدف ليصبح غاية ، الرغبة لذلك الهدف يجب أن تتحقق ويجب الوصول إليها تماماً كمثل تجربة متعة اشباع رغبة ما تتفاعل مع الرغبة نفسها وتعززها ، كذلك مع الرغبات الفاضلة التي تكمن في الالتزام بتحقيق الهدف المثاليّ والذي يصدر عن الأشخاص الخيرين ، فالرغبة لتحقيق الإستقامة أو طيبة القلب تعزز رغبة حب الآخرين ومنفعتهم ، والرغبة لكى تكون خيرة لابد من أن تنشد الخير لذاته وتحققه ويصبح إتصافها به وتحقيقه شيئاً واحداً ، الانسجام والتماثل في تلك الرغبة من أجل الطهارة الذاتية من جهة وتحقيق الخير للآخرين من جهة أخرى لتحقيق أفضل حياة.[١]

من خلال اعتقاد راشدال الواضح أنه يقصد ترويض النفس واتزان الميول والرغبات ، وهذا الهدف يستدعى عوامل وركائز عديدة ينبغي أن يستند إليها الإنسان ، منها : الزهد مثلاً ، وعدم الانجرار وراء ميول النفس.[٢] وأن تتعادل الميول بمعنى : الاتزان ، فالشخص المتزن هو الذي يفكر تفكيراُ مستقيماً بفطرته وغريزته.[٣] ولكي يتحقق الهدف المثاليّ فلابد للإنسان من أن يعرف الفضائل وهي أمور محسوسة وهي معان كلية ليست لها وجود في عالم المشاهدة ، ولكي يحسها فلابد من أن يبذل مجهوداً مضاعفاً ، ولكي يدركها لابد من أن يستوعب معنى الفضيلة والأخلاق الحميدة ويحث عليها وأن يستوعب معنى الرذيلة والخصال الذميمة وهناك نماذج ومُثل تطبيقية يمكن بواسطتها إدراك هذا المعنى : الصدق ـ الأمانة ، وبالتطور العقليّ يصل إلى تأهيل العقل لتجريد المعاني من المحسات وفهم المُثل العُليا : المروءة ، والتضحية ، والاكتراث بالواجب ، والتعاون ، والصبر ، وتحمل المشاق ، والتفاني في سبيل الجماعة والالتزام بالتخويف والعقاب الذي سوف يجازينا به الله إذا لم نفعل الخير.[٤]

---

(1)Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, PP.42-43.

(2) https://annabaa.org 17/8/2021 9:56 Pm.

(٣) مجمع اللغة العربية : **المعجم الفلسفي** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص٢.

(٤) د.توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، مرجع سابق ، ص ص ٦٨-٧٠.

ولكي تتحقق الطهارة الذاتية كما يقول راشدال فلابد من أن ينصرف الإنسان عن مطالب الدنيا ومقتضاياتها وبهذا يرتفع فوق بهيمته ، وأن يحارب لذاته مع قمع أهوائه ووأد شهواته وأن يتعهد الصدق المطلق ، وهكذا يتحقق بباطنه توازن مقترن بهدوء البال متمتع بسلام روحيّ ، ومن ناحية أخرى نجد راشدال يجعل تحقيق الخير أصلاً ينبع من نزاهة النفس وطهارتها من قذارة الرذائل ، وبذلك يتحقق الهدف المثاليّ ، فيقوم الإنسان بفعل الخير ؛ حتى إذا ضحى بسعادته ، وذلك هو الفرق بين مذهب المنفعة المثالية عند راشدال ومذهب المنفعة العامة عند بنتام الذي حينما تحدث عن الخير ربط خير الفرد بخير الجماعة ، وذهب أن البحث عن لذة الآخرين هو خير وسيلة يمكن أن تعين الفرد نفسه على الوصول إلى أكبر قسط ممكن من اللذة ، وهذا يعني أن المنفعة الشخصية متصلة اتصالاً وثيقاً بالمنفعة العامة مادام الفرد عاجزاً بالضرورة عن الوصول إلى ما هو نافع له دون الاجتماع باللآخرين.[١] كما نجده يرى أنه من الخطأ والضلال أن نرد الأفعال الإنسانية إلى ما يسمى بالغيرية أو الإيثار ، فالغيرية ما هي إلا أنانية مقنعة متنكرة ! فالتجربة تشهد بأن الإنسان لا يقوم بأي فعل يكون فيه خير للآخرين إلا إذا كان هذا الفعل يقع من ورائه خير على الفرد نفسه.[٢]

- **ثالثاً - مفهوم العقل والشعور:**

العقل هو القوة المدركة في الإنسان التي يميز بها الخير من الشر ، وحين يدرك أن عاقبة أمر من الأمور وخيمة ، فإنه حينئذ يتجنب الأمر لما سيعقبه من ألم ومضرة ، وإن أدرك أن العاقبة ستكون خيراً فإنه يمتثل ويستجيب ، وله نشاط يلازمه وهو التفكير ، وليس للعقل من التفكير مفر ، فالتفكير يلازم الإنسان من الطفولة إلى الشيخوخة في الصحة والمرض ، في النوم واليقظة.[٣] (فالدماغ) يعمل كما يعمل القلب ، ينبض نبضاً لا ينقطع في أنسجته التي تزن ١٤٠٠ غرام ، تسجل وتخزن بلايين على بلايين من الذكريات ، والعادات والغرائز ، وضروب القدرة والشهوة ، والرجاء ، والخوف ، صور وألوان وأصوات وحسابات تفوق التصور في دقتها ، صوت همسة سمعت من ثلاثين سنة ، قرار حازم في الذهن التطبيقيّ اليوميّ ، خلال ألف يوم ، البغضاء التي لم يزل يحتفظ بها منذ الطفولة ، والبهجة التي ينالها ولكنه ينفك يتخيلها ، مقدار الضغط الذي يوقعه إصبع واحد على وتر واحد ، ظلال ومخترعات وجرائم وقصائد ونكات وألحان ، وأرقام

---

[١] د.محمود حمدي زقزوق : **مقدمة في علم الأخلاق** ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٣ ، ط٣ ، ص١٠٩.
[٢] د.توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، مرجع سابق ، ص٢٩١.
[٣] جلبرت هاين : **جبروت العقل** ، ترجمة فؤاد صروف ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ص ٢٢-٢٥.

ومشكلات لم تحل ، وانتصارات عفا عليها الزمن ، الخوف من الجحيم ومحبة الله ، مشهد السماء ترصعها الكواكب.[١]

ويحتل مفهوم العقل مكانة بارزة عند الفلاسفة والعلماء على حد سواء ، فالعقل عبارة عن مجموعة الاستعدادات والقدرات العقلية والفكرية والعادات الذهنية ، وقد مر مفهوم العقل بمراحل عديدة ؛ إذ تمتد جذوره إلى الفلسفة اليونانية ، حيث جعل إنكساغوراس العقل هو المحك الأساسيّ للمعرفة ، وجعله أفلاطون محط المعرفة.[٢] أما الفلسفة الحديثة فنجد ديكارت حيث كان الأب الروحيّ للفلسفة الحديثة ، رائد الاتجاه العقلانيّ يُعد العقل فطرة في الإنسان ، وأعدل قسمة بين الناس وأهم ما يفصل الإنسان عن الحيوان ؛ لأنه جوهر الفكر ومبدأه . بالعقل وحده يستطيع الإنسان أن يبني المعرفة مطلقة حول النفس والطبيعة والله دون أي حاجة إلى الاعتماد على الحواس ؛ لأن العقل نور فطريّ يحتوي بطبيعته على أفكار فطرية تعد بدورها أوليات بدهية عقلية يقينية لابد من أن تكون بدورها يقينية ، أما المعرفة المستمدة من الحواس فإنها تحتمل الشك ؛ لأن الحواس تخدع.[٣]

أما **الشعور** الإدراك بلا دليل (وفي علم النفس) إدراك المرء لذاته وأحواله وأفعاله إدراكاً مباشراً ، وهو أساس كل معرفة وله مراتب متفاوته الوضوح ، ومظاهره ثلاثة : الإدراك ، والوجدان ، والنزوع.[٤] والإحساس أو الشعور وسيلة من وسائل المعرفة الإنسانية ، يضاف إلى العقل والحدس والقلب وغيرها من وسائل المعرفة ، وفي مجال الفكر الفلسفيّ الحسيّ فإن الفلاسفة يفرقون بين نوعين من الأشياء التي يستطيع الإنسان إدراكها ، وهذان النوعان هما : أولاً : الأشياء الطبيعية أو الجوهر ، مثل : الكتب ، والصخور ، والماء والتراب والأثاث وغيرها من الأشياء حولها . والكائنات الحية ، مثل : الإنسان والحيوان والنباتات ، وتقع جميعها تحت اسم الأشياء المادية ، ثانياً : هناك معطيات للإدراك الحسيّ نسميها الإحساسات ، مثل : إحساسنا بالبقع اللونية ، والأشكال ، والأصوات ، والروائح ، والمشاعر الحسية.[٥] وتبنى الفلاسفة مصطلحات الإحساسات والإدراك الحسيّ والمعطيات الحسية ، فهناك - على سبيل المثال- لا الحصر : چورچ إدوارد مور ، وبرتراند رسل ، وبرود وبرايس وكوندياك وايبوليت تين في الفلسفة الحديثة ، كما وردت هذه المصطلحات في الكتابات المبكرة للفلاسفة الإنجليز ، مثل چون لوك (أفكار الحس)

---

[١] الموضع نفسه.

[2] https://www.neelwafurat.com 17/8/2021 9:15 Pm.

[3] https://www.oujadcity.net 17/8/2021 9:5 Pm.

[٤] مجمع اللغة العربية : **المعجم الوجيز** ، مرجع سابق ، ص٣٤٤.

[٥] د.إبراهيم مصطفى : **مفهوم العقل في الفكر الفلسفي** ، دار النهضة العربية بيروت١٩٩٣ ، ص ص ٣٥-٣٦.

وچورچ باركلي (الأفكار أو الكيفيات الحسية) وديفيد هيوم الانطباعات الحسية.[١] ولكن السؤال هنا ما الذي يؤثر في السلوك الأخلاقيّ أو ما الذي يكون له دور في بناء الأحكام الأخلاقية العقل أم الشعور؟ هل يمكن إقامة الأخلاق على أساس العقل أو أوامر العقل وحده أم الشعور؟ ما مركز المقياس الأخلاقي في النفس البشرية؟ الاستحسان الأخلاقيّ هل يرجع إلى حكم العقل أم الشعور؟.

- **رابعاً : العقل والشعور والعلاقة بينهما :**

وفي العلاقة بين العقل والشعور يقول راشدال : عندما نستوعب أن الأحكام الأخلاقية تكون مقدمة بواسطة العقل فذلك لا يعني أن العقل هو السبب الوحيد لإتمام الأفعال ، وأن مما لاشك فيه أنه من الممكن أن نرى العمل أو التصرف يكون صواباً بوضوح تام ، وعدم القيام به لنشعر غالباً بضيق التفكير ، حتى عندما التصرف يتم بنقاء ((يحترم)) بسبب الاعتراف بالواجب ، فهناك لابد على الأقل من تقديم الرغبة والشعور لأجل ما يكون صواباً ومعقول بحد ذاته ، وأن أفضل التصرفات لأفضل الرجال تكون عموماً متأثرة بشعور القيام بالواجب وعندما يقدم الضمير نفسه على أنه عاطفة في القلب فذلك يشمل ليس مجرد البصيرة لما يكون صواباً لكن أيضاً الدافع الذي يكون سبباً لما يكون صواباً ليتضمن احترام الواجب أو حب الخير ، بل أسمى المشاعر والعواطف الأخرى التي وافق عليها العقل الأخلاقيّ بوصفها دوافع للأفعال.[٢]

وفق حديث راشدال السابق فإنه يسهل رؤية العلاقة بين العقل والحواس الباطنة ، فبالعقل يعرف الإنسان ويميز ويتصرف في المعرفة على سبيل الاستنتاج والحكم والقياس المنطقيّ ويحكم بالبداهة ، وبالحواس الباطنة يشعر ويرغب ويتأثر بالمؤثرات المتنوعة كالحب والبغض.[٣]

ثم يطرح راشدال سؤالاً يقول فيه "السؤال موضوع المناقشة بين العقلانيين ومعارضيهم يكون بوضوح بأي قدرة وبأي جزء من طبيعتنا نكتشف أن التصرف يجب أن يكون صواباً؟ ويتابع راشدال قد يكون مقبولاً أن أحكام العقل العمليّ عادة تسبب دافعاً قوياً نحو التصرف وهو - بلا شك - مصحوب بشعور من النوع الذي يكون بعيداً عن مجرد الأحكام الرياضية (أي أن الحكم على المسائل الرياضية والحسابية هو حكم عملي بعيداً عن المشاعر). إن التصرف يكون صواباً من خلال الشعور به والقرار الذي نتج عنه ذلك التصرف ، فالأسلوب الذي يأتي به الكثير من الناس يكاد يكون شعورياً ، أنا مازلت أناقش أنه بقدر ما تشكل فكرة الخير أو الاستقامة الهدف أو

---

[١] الموضع نفسه.

[2] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, P.140.

[٣] أبو حامد الغزالي ، **إحياء علوم الدين** ، مرجع سابق ، ص ص ٨-١٢.

الغاية من منطلق الإحساس والشعور بها ، فالحكم العقلانيّ لابد – بالضرورة - من أن يكون هناك.[١]

تتضمن الفقرة السابقة تحليل العقل والشعور باطنياً ؛ إذ إن مجال العقل البشريّ هو مجال الوعي البشريّ ، وإن المخ هو مركز مجال العقل أو مركز مجال الوعي ، وهذا ثابت علمياً ومنطقياً وعملياً ، فمن الطبيعي أن المخ إنما يعي ما يدور من حوله ، وتتضمن مدارات مجال العقل أو مدارات مجال الوعي ما نطلق عليه الشعور واللاشعور ، فكلما اقتربت (مدار الفكرة) من المخ (مركز الوعي) دخلت الفكرة في مجال الشعور ، وأخذت تتحدد وتتعين ، وتتجسم وصار من الممكن التعبير عنها باللغة وتصويرها بالألفظ اللغوية.[٢]

ثم يصرح راشدال أن الشعور قد يلهم الشخص اتخاذ قراراً معيناً صواباً أو خطأ ، لكنه لايستطيع أن يخلق أو يبتدع فكرة الصواب أو الخير ؛ كما أن في تلك الحالات التي يكون فيها الدافع واقعياً تكون بوضوح متأثرة بالشعور ، حيث أن في بعض الأحيان يقال في تحقيق الاستقامة في التصرف يدخل الشعور بوصفه دافعاً مؤثراً ، أو قد يقال أن الشعور مصحوب بالقرار لمعقوليته ، إن الشخص قد يكرس نفسه بحماس لبعض الأهداف الخيرية أو الإنسانية ؛ بسبب حب مُثار بواسطة استخراج فكرة العدالة أو هو ربما يكون مدفوعاً بواسطة مشاعر الحب الطاهر للبشرية الذي يكون مع ذلك مصحوب بالقرار العقلاني.[٣]

وهكذا فإن الشعور هو صلة المضمون النفسيّ بالذات أو هو النشاط الذي يحقق صلة المضمون النفسيّ بالذات ، وهو أحد معطيات الفكر الأولية ندركه بأنفسنا إدراكاً مباشراً.[٤] وإذا كان الشعور هو العلم بما تشمله البيئة من عناصر حسية أو ما يجري في النفس من إدراكات ووجدانات ونزعات أو ما يجري في البيئة والنفس معاً.[٥] فإن العقل هو الذي نحلل به الأمور والأشياء التي نراها ونسمعها ونحسها ونلمسها ونتذوقها ، ويشمل ذلك التفكير المنطقيّ ، والتفكير التحليليّ ، والذاكرة المؤقتة ، وقوة الرغبة ، فالعقل البشريّ يمتلك خصائص ومزايا هائلة وقوة عظيمة على التخزين والتذكر والربط والتحليل.[٦]

---

(1) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, PP.140-141.

(٢) نهى عبد العزيز محمود : **من الأخلاق الكلاسيكية إلى الثورة البيولوچية** ، الحضري للطباعة ، الإسكندرية ٢٠١١ ، ص٢٠٣.

(3) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"** V.I, P.141.

(٤) ديفيد بابينو ، هوارد سلينا : **الشعور** ، ترجمة محمود مكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص٥.

(٥) د.حسن محمد خير الدين : **العلوم السلوكية والعلاقات العامة** ، دار الجبل للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص١٨.

(٦) هند رشدي : **إدارة التفكير والسلوك والشعور بالبرمجة اللغوية العصبية** ، العالمية للكتب والنشر ، الجيزة ٢٠١٠ ، ص ص ٢٥ – ٢٦.

ويستطرد راشدال في حديثه قائلاً : "نحن أمام نوعين من الأحكام : الحكم الذي ينسب إلى الشعور ، والحكم الذي ينسب إلى القيمة التي تحرك الشعور ليقود إلى التصرف".[١]

يشير راشدال في الفقرة السابقة إلى أننا بين نوعين من الأحكام ، الحكم الذي ينسب للشعور باعتبار الشعور هو مجموعة الخواطر والإحساسات والمشاعر التي تتكون داخل أنفسنا عن العالم الخارجيّ ؛ نتيجة اتصالنا به ووجودنا فيه والتي نشعر بها.[٢] وبين حكم القيمة باعتبارها ناتج حكم تقديريّ والتي تؤكد القابل للرغبة في مقابل ما يرغب والتي هي أكثر من ذلك البريق الذي يصحب العقل ويوجهه في أثناء الوقت الذي يتم فيه.[٣]

يتابع راشدال فبحالة رجال مثل : شافتسبري وهتشسون كان يُعتقد أن الأخلاق ستكون أكثر أمناً إذا كانت بعيدة تماماً عن تشريع العقل ، ووضعها تحت سلطة القلب ، فكان معنى الشعور المصدر الوحيد للمعرفة ، ولكن هنا من الضروري أن نبين بأي نوع من الشعور أو الإحساس تكون حقيقة الأخلاق ، فلقد ابتدعوا شعوراً خاصاً هو مصدر معرفتنا الأخلاقية مثلما البصر هو مصدر تصورنا للون ، والسمع مصدر تصورنا للصوت ، فالأخلاق مبنية لديهم على نوع من المشاعر ، فقط إنها شعور معين ، فالاستحسان الأخلاقيّ كان شعوراً كاملاً لا نظير له أو من نوع خاص ، ناتج عن استبصار السلوك الخير ، واستقباح المشاعر بنفس الطريقة ناتج عن استبصار السلوك السيء ، وهذا الرأي عرضة لاعتراض واحد لايمكن التغاضي عنه. إذا كان الاستحسان الأخلاقي مجرد مشاعر أو شعور كيف يمكن أن يستحق- بأي شكل من الأشكال- التعالي على أي مشاعر أخرى؟ صحيح أنه يعطيني شعوراً ممتعاً لفعل عمل طيب ، وأنه يسبب لي نوعاً معيناً من الإزعاج ليخبرني أنه سيء ، ذلك ربما سبب جيد جداً تحت الظروف العادية من أجل القيام بفعل وترك الآخر ، لكن على فرض أنني مطبوع أو مجبول على أن أنتهك العُرف أو التقاليد الاجتماعية وذلك يعتبر مخالفة أخلاقية فلماذا أعطي أهمية لهذا الشعور المعين من الاستنكار الأخلاقيّ؟.[٤]

وعليه فإن رفض راشدال رد المعرفة للشعور وحده ؛ لأن الشعور- على العموم- حالة كثيرة التقلب ، سريعة الزوال.[٥]

---

[1] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, P.142.

[٢] د.كامل محمد محمد عويضة : **السلوك الإنسانيّ** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦ ، ص٨.

[٣] د.سناء خضر : **الفلسفة الخلقية والعلم نظرية نقدية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ٢٠٠٩ ، ص٥٥.

[4] Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, PP. 143-144.

[٥] سيجموند فرويد : **معالم التحليل النفسيّ** ، د.محمود عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص٦٦.

ثم يحاول راشدال توضيح وجهة نظره فيأتي بأمثلة أخرى قائلاً : أنا ربما لدي القدرة على لعبة الويست (الهويست ضرب من لعب الورق أو الشدة) والاستمتاع بها ، لكن أنا لا أشعر بأنني ملزم أو مقيد بلعبها لو أنني أحب قراءة الرواية الأفضل ، وأيضاً نحن نعترف أن اللاأخلاقية (الفجور) عادة تسبب لي ضائقة انفعالية أو فكرية وإزعاجاً من نوع خاص ، أنا ربما أكره آلام الضمير كثيراً ، لكن ربما أكره آلة التعذيب بدرجة أكبر إذا كنت مهدد بالتعذيب لرفض الكشف عن سراً ما أكون ملزماً بالحفاظ عليه ، أو أن أتهم رجلاً بريئاً بالكذب لأن كذبي سيجلب لي مصلحة ومنفعة.[١] ومن ناحية أخرى فمثلاً تذوق رشفة من الخمرة تكون مختلفة عن الشري (خمرة أسبانية الأصل) لكن ليست أفضل منها ، أنت داخلياً مدرك أنك تختار القيام بأشياء باعتبارها أفضل من غيرهم بالنسبة لك ، هل ليس حقاً ذلك اعتراف أننا نتعامل مع شيء أكثر من مجرد شعور ، مع ما يأمر به العقل أو حكم القيمة؟ إنه لا يكون الشعور الذي يطالب بالاستسلام أو الرضوخ أمام المتع ، لكن القرار أو الحكم الذي يطلب تفضيلاً لهذا الشعور.[٢]

ما يؤكده راشدال في الفقرة السابقة أن الشعور لا يقوم وحده فلابد من وجود العقل ، وهذا ما يؤكده راشدال ، فالعقل أساساً منتج تراكميّ عبر الأجيال للشعور ، والشعور وحده يجعل الإنسان قريباً من الحيوان.[٣] فالعقل بصفة عامة حامل معرفة وطاقة تجريد ومركز التفكير والأحكام وملكة متعالية ، وإذا كان الإنسان كائناً حسياً ـ فالمعرفة نتائج تجريديّ لدماغه بوصفه عقلاً.[٤]

وبعد ذلك يتابع راشدال تفسير برهانه على النحو الآتي : المشاعر مختلفة ومتناقضة بوصفها مشاعر ، ولكل شخص مشاعره الخاصة وهي مؤكدة وصحيحة بالنسبة له ، (على الرغم من أنها في بعض الأحيان قد تخدعه) ، فعلى سبيل المثال عندما يشير الأعمى (المصاب بعمى الألوان) إلى الضوء الأحمر باللون الأخضر أو الرماديّ إنه حقاً يكون أخضر أو رمادياً بالنسبة له ، فإن حكمه أمام نفسه حكماً صحيحاً صادقاً كمثل الرجل الذي يلفظ أنه أحمر الشعور بوصفه شعوراً لا يكون صحيحاً أو زائفاً على الإطلاق ، في حين أن الحكم مبنيّ على المشاعر ، الحكم لA هو يراه أحمر ، وB يراه أخضر ، هؤلاء- بلا شك - يمتلكون حقيقة موضوعية ؛ ومثل تصريح هذين الرجلين بالحقيقة لما يشعران به يتوافق تماماً مع بعضهما بعضاً ، الآن إذا كان التصرف جيداً

---

(1) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, P.144.
(2) Loc-cit.
(3) alwarraq.blogspot.com. 18/9/2021 11:40 Pm.
(٤) د.مصطفى حسيبة : **المعجم الفلسفي** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠١٢ ، ص٦٤٥.

يعني- ببساطة - التصرف الذي يسبب لي تجربة (خبرة) لنوع معين من الشعور الذي أنا أدعوه بالاستحسان الأخلاقيّ.[١]

نستخلص من العرض السابق أن الفرد يتعرض لمثيرات ومنبهات مختلفة في حياته اليومية ، وينتقل إثرها إلى العقل عن طريق الأعصاب الحسية ، وفي العقل يتم ترجمة هذه المؤثرات إلى حالات شعورية هي التي نسميها الإحساس ، فكأن الإحساس هو الأثر النفسيّ المباشر الذي ينشأ من تعرض حاسة من الحواس لمؤثر أو منبه خارجيّ ؛ ولكن هل تقف العملية عند هذا الحد؟ حد استقبال المثيرات والمنبهات الخارجية والإحساس في وجودها بحالة شعورية بسيطة؟ أم أن الفرد يتولى هذه الإحساسات بالتأويل ويفرغ عليها من خبرته السابقة ومن خياله ومن حالته النفسية والجسمية ما يعطيها معنى قد يختلف عن الواقع؟.[٢] الحقيقة أن الإنسان لايقف موقفاً سلبياً من هذه الإحساسات ، بل يتناولها بالتعديل والتأويل وفق خبرته وخياله وحالته النفسية والجسمية ، فما يراه فنان في لوحة فنية يختلف عما يراه شخص عاديّ ، كما أنه من الممكن أن يتعرف الفرد إلى منظر معين برؤية بعض أجزائه ، ومن هنا نرى أن الإحساسات يتناولها التأويل ، ويدخل في التأويل عوامل كثيرة ، منها : خبرة الفرد ، ومزاجه ، وذكرياته.[٣] وما يشير إليه راشدال أن كل إنسان يختلف عن الآخر في إدراكه الحسي.[*] وذلك الإدراك يتعلق بالفرد ذاته ، وكل فرد يختلف عن غيره باختلاف خبراته وميوله واتجاهاته ، كما أن إدراك الشخص نفسه قد يختلف عن غيره في مناسبة معينة بالرغم من ثبات المؤثر الخارجيّ.[٤] وهذا ما يؤكد أن الشعور ذاتيّ محض.[٥] وهذا ما يؤكده راشدال حيث يقول : إن حكم المشاعر ليس حكماً موضوعياً فالناس مختلفون ومن ثم مشاعرهم مختلفة ، فإذا نظرنا إلى نوع آخر من سلوكيات الأفراد : فمثلاً الواعظ المخادع المتظاهر بالتقوى ، لا يحظى باحترام الآخرين ، على العكس من رجل آخر تقي متدين رُبي على الورع والإخلاص ، مصارعة الثيران الإسبانية تحرك أو تثير الشعور بالحماس في عقول معظم الأسبان ، عكس مشاعر الرجال الإنجليز الذين يستنكرونها ، يلحظ تماماً أين تكمن الصعوبة ، فليست الصعوبة عملية التأكد من الحقيقة الأخلاقية ، كل الأنظمة الأخلاقية تعترف أن أحكام

---

(1) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, P.145.

(٢) د.حسن محمد خير الدين : **العلوم السلوكية والعلاقات العامة** ، مرجع سابق ، ص١٣٥.

(٣) الموضع نفسه.

(*) الإدراك الحسي : هو الخطوة الأولى في سبيل المعرفة وأساس العمليات العقلية الأخرى كالتذكر والتصور والتفكير والتعلم وغيرها والإدراك يحدد السلوك ويعدله . انظر : مرجع سابق ، ص١٣٥.

(٤) المرجع نفسه ، ص ص ١٣٥-١٣٦.

(٥) أم الزين بنشيحة : **كانط راهناً أو (الإنسان في حدود مجرد العقل)** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ٢٠٠٦ ، ص١٥٥.

الأشخاص الأخلاقية في الحقيقة تتناقض مع كل منهما ، ولكن كيف دائماً أشعر بقوة أن من المؤكد أن اتجاه مسار السلوك صحيحاً.[١]

ويتابع راشدال أنا ربما أخطئ في نظرية علمية أو تاريخية ، التي ربما أكون مرتبطاً بها بشغف وبحماسة ، إن موضوعية الحكم الأخلاقيّ لا تعني العصمة أو عصمة الفرد عن الخطأ ، حتى الاتفاق الجماعيّ للأفراد في زمن معين أو مكان معين على سلوكاً ما بمعنى : أنه إذا كنت على صواب في استحساني لهذا السلوك فإذا استنكرته أنت فلابد من أن تكون خطأ ، إذا الأخلاق تكون مسألة هدف أو غرضاً صادقاً أو كذباً ، فالقانون الأخلاقيّ يظل صادقاً حتي لو أنا وأنت بل الجنس البشريّ كله في مرحلته الحالية من النمو الأخلاقي ربما يكون لديه تصور خطأ لبعض أحكامه.[٢]

نلحظ في هذا الكلام أن راشدال يشير إلى أن الإنسان ليس معصوماً من الخطأ ، لكن القانون الأخلاقيّ هو أسمى ما يمكن تصوره في أي طبيعة عاقلة ، حيث يتصف بالكلية والضرورة ، واحترام الإنسان للقانون نابع من تصوره له ، وصدور الفعل الأخلاقيّ يعني : احترام القانون الذي يجب أن يعتبر غاية الفعل.[٣]

ثم يؤكد راشدال أن الاستقامة في السلوك تعني بوضوح : أن التصرف يسبب عاطفة مميزة لأشخاص معينين ، ونفس الشيء كما يقول : التصرف قد يكون عند أحد الأفراد جيداً وسيئاً في نفس الوقت ، أما الشعور الأخلاقيّ فقط هو هدف حقيقيّ أو صادق من أي شعور آخر يختلف باختلاف الأشخاص ، فمصارعة الثيران لاتكون جيدة ولا سيئة ، لكن تماماً جيدة لبعض الناس وسيئة لبعضهم الآخر ، وبنفس الطريقة الخردل يكون ليس بموضوعية جميلاً أو لطيفاً ولا بموضوعية كريهاً لكن تماماً يكون لطيفاً لبعض الناس وكريهاً لبعضهم الآخر ، هذه المشاعر ليست تصنع الأمور صواباً أو خطأً ، فهي ليست إلا مجرد مؤشر ذاتيّ بواسطته نعترف بمزية حقيقية موجودة في الناس لهدف حقيقيّ ، الشعور الأخلاقيّ المميز هو- في الأغلب- فحسب السبب أو المؤشر الذي بواسطته نكون قادرين على صنع القرار ، فمثلاً الفكرة الأساسية " للخير" لايمكن أن تنشأ في الشعور لكن الشعور ربما يكون أمراً نفسياً أو هو الذي يسبب نطقي هذا أو ذاك التصرف المعين ليكون صواباً أو "خير".[٤]

---

(1) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil "**, V.I, P.145.

(2) Loc-cit.

(٣) د.عبد الوهاب جعفر : **فلسفة الأخلاق والقيم** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠١٣ ، ص ص ١٧٦-١٧٩.

(4) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, PP. 145-146.

وهكذا نجد أن الشعور الأخلاقيّ كما يقصد به راشدال هو إدراك وجدان الأنسان للخير أو الشر أو الحق أو الباطل والتمييز بينهما.[١] ، ذلك الشعور الأخلاقيّ إشارة أو دلالة بواسطتها يتبين لنا الصواب من الخطأ.

وفي النهاية يقول راشدال : الحكم أن هذا التصرف الخيريّ يكون خيراً ، لاشك أنه يتضمن الخبرة ، ونحن لانستطيع أن نلفظ أو ننطق أن هذا يكون خيراً من دون أن نعرف أو ندرك ماذا يكون ، إن الحكم الأخلاقيّ يمتلك الشمولية أو الموضوعية التي لايمكن أن تكون منسوبة لمجرد الإحساس أو الشعور أنه يكون مرتبطاً بالفكرة ذاتها : الأخلاق أو الواجب أو الالتزام الأخلاقي.[٢]

من خلال العرض السابق يمكن ملاحظة ما يشير إليه راشدال وهي : التجربة الخلقية كما يراها كانط حيث ذهب إلى أنها نوع من المعرفة ، ولكنها معرفة يقينية لا يرتقي إليها الشك أنها تنشد العلم (بما ينبغي) أن نأتيه من أفعال سواءاً أقدمنا على فعله أم أحجمنا عنه.[٣]

---

(1) https://ontology.birzeit.edu 17/8/2021 9:10 Pm.

(2) Hastings Rashdall, **"the theory of good and evil"**, V.I, P.151.

(٣) د.توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، مرجع سابق ، ص٣٨٣.

خـاتـمـة

كما تبين في بداية هذا الفصل من تحليل راشدال لطبيعة اللذة ، حيث استخدم أمثلته لصياغة وجهة نظره لتفسير طبيعتها باعتبارها تتحكم في الجانب الحسيّ لدى الإنسان ؛ ومن ثم فهي مسئولة عن فساد السلوك إذا لم يتم التحكم فيها ، وذلك ما أثبته راشدال مطالباً بضبط الدوافع وتنظيم الانفعالات والتحكم في الشهوات ، ومن ناحية أخرى تعد نتائج راشدال نقداً موجهاً إلى مذهب اللذة الأنانيّ والذي تعاليمه لا تتفق مع فطرتنا وطبيعتنا ؛ ولا سيما إذا كنا في مجال الحديث عن الأخلاق ، فالواجب الأخلاقيّ لا يكون في البحث عن اللذة الفردية والمنفعة الشخصية ، فالإنسان من الناحية الأخلاقية يجب أن يكون تحقيقه للذته أو لمنفعته الشخصية لا يسبب ألاماً لغيره من الأفراد ، ويجب أيضاً ألا تفضي سعادته على سعادة الآخرين.[١]

أما رؤيته في تفسير العقل والشعور فلقد أكد أن الشعور يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقل ، فمن خلالهما يصل الإنسان إلى الحكم الأخلاقيّ ؛ وذلك الحكم هو ناتج الحياة العقلية الشعورية ، والتي تشمل الإحساسات والوجدانات والإدراكات والتذكر والتفكير.[٢] وبهذا الشكل فقد نظر راشدال للعقل والشعور نظرة سيكولوچية أثبت من خلالها أن العقل لايعمل بمعزل عن الشعور ، ولا الشعور يعمل بمنأى عن العقل فالاثنان يشاركان في إحداث الفعل أو إصدار الحكم الأخلاقيّ.

---

[١] نهى عبد العزيز محمود يوسف : **من الأخلاق الكلاسيكية إلى الثورة البيولوچية** ، مرجع سابق ، ص ص ١١٦-١١٧.
[٢] محمود فهمي زيدان ، أحمد محمود صبحي : **في فلسفة الطب** ، تقديم محمود مرسي عبد الله ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥ ، ص١٤٤.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

Hastings Rashdall, **"The theory of good and evil"** V.I, claredon press, Oxford 1907.

ثانياً : المراجع

أ- المراجع باللغة العربية:

١- مجمع اللغة العربية : **المعجم الوجيز** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة١٩٩٩.

٢- د.زكريا إبراهيم : **المشكلة الخلقية** ، مكتبة مصر ، القاهرة١٩٦٩.

٣- وليام ليلي : **المدخل إلى علم الأخلاق** ، ترجمة د.علي عبد المعطي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية١٩٨٥.

٤- إريك فروم : **الإنسان لنفسه بحث في علم النفس** ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مكتبة دار الحكمة ، القاهرة ٢٠٠٩.

٥- د.محمد على أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو والمدارس المتأخرة** ، دار الوفاء ، الإسكندرية ١٩٩٠.

٦- د.عبد الوهاب جعفر : **مذكرة في فلسفة الأخلاق** ، كلية الأداب ، الأسكندرية ١٩٩٠.

٧- وليام ليلى : **المدخل إلى علم الأخلاق** ، ترجمة د. علي عبد المعطي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٥.

٨- د/ زكريا إبراهيم : **المشكلة الخلقية** ، مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٦٩.

٩- د.منى أحمد محمد أبو زيد : **مفهوم الخير والشر في الفلسفة الإسلامية** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٩١.

١٠- أبو حامد الغزاليّ : **إحياء علوم الدين** ، ترجمة الحافظ العراقيّ ، ج٢ ، م.مصر ، القاهرة ١٩٩٨.

١١- محمد أحمد جاد المولى : **الخلق الكامل** ، ج٤ ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ٢٠٠٥.

١٢- سبينوزا : **علم الأخلاق** ، ترجمة جلال الدين سعيد ، دار الجنوب للنشر ، تونس ٢٠٠١.

١٣- ابن مسكويه : تهذيب الأخلاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥ .

١٤- محمد أحمد جاد المولى : **الخلق الكامل** ، ج٤ ، مطبعة الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ٢٠٠٥.

١٥- د.فاطمة حسين : **الأسس الأربعة لبناء الشخصية** ، ن للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠١٤ ، ط١.

١٦- لويز دكسنون : **فلسفة الخير** ، ترجمة رمزي حليم يسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ٢٠٠١.

١٧- د.عبد الفتاح الخواجة : **علم النفس العلاجيّ** ، دار البداية ناشرون وموزعزن ، عمان ٢٠١٣ ، ط١.

١٨- عبد الرحمن الكحلاوي : ابن القيم الجوزية **"دراسة موضوعية تحليلية تربوية"** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ١٩٩١ ، ط١.

١٩- د/ عبد الرحمن بدوي : **أرسطو** ، دار القلم ، بيروت ١٩٨٠.

٢٠- ليليان موري : **تعليم الأخلاق** ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت٢٠٠٣ ، ط١ .

٢١- د/ توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٧.

٢٢- د.محمود حمدي زقزوق : **مقدمة في علم الأخلاق** ، دار القلم ، الكويت ١٩٨٣ ، ط٣ .

٢٣- جلبرت هاين : **جبروت العقل** ، ترجمة فؤاد صروف ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٨٣.

٢٤- د.إبراهيم مصطفى : **مفهوم العقل في الفكر الفلسفي** ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٩٣.

٢٥- أبو حامد الغزالي : **إحياء علوم الدين** ، ترجمة الحافظ العراقي ، ج٢ ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٩٨.

٢٦- نهى عبد العزيز محمود : **من الأخلاق الكلاسيكية إلى الثورة البيولوچية** ، الحضري للطباعة ، الإسكندرية ٢٠١١.

٢٧- ديفيد بابينو ، هوارد سلينا : **الشعور** ، ترجمة محمود مكي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ٢٠٠١.

٢٨- د.حسن محمد خير الدين : **العلوم السلوكية والعلاقات العامة** ، دار الجبل للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠.

٢٩- هند رشدي : **إدارة التفكير والسلوك والشعور بالبرمجة اللغوية العصبية** ، العالمية للكتب والنشر ، الجيزة ٢٠١٠.

٣٠- د.كامل محمد محمد عويضة : **السلوك الإنسانيّ** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦.

٣١- د.سناء خضر : **الفلسفة الخلقية والعلم نظرية نقدية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ٢٠٠٩.

٣٢- سيجموند فرويد : **معالم التحليل النفسيّ** ، د.محمود عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٣.

٣٣- د.مصطفى حسيبة : **المعجم الفلسفي** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠١٢.

٣٤- د/ حسن محمد خير الدين : **العلوم السلوكية والعلاقات العامة** ، دار الجبل للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠.

٣٥- أم الزين بنشيحة : **كانط راهناً أو (الإنسان في حدود مجرد العقل)** ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ٢٠٠٦.

٣٦- د.عبد الوهاب جعفر : **فلسفة الأخلاق والقيم** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ٢٠١٣.

٣٧- د/ نهى عبد العزيز محمود : **من الأخلاق الكلاسيكية إلى الثورة البيولوجية** ، الحضري للطباعة ، الإسكندرية ٢٠١١.

٣٨- محمود فهمي زيدان ، أحمد محمود صبحي : **في فلسفة الطب** ، تقديم محمود مرسي عبد الله ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥.

ب- المراجع باللغة الأجنبية :

1- Hastings Rashdall, “**The theory of good and evil”** V.I, claredon press, Oxford 1907.

2- Francis snar, **"the nature of moral thinking"**, Routledge, New York 1992.

3- James Hemming, **"individual morality"**, Western Printing servies, Bristol 1969.

4- James Q Wilson**, "the moral sense"**, Macmillan, New York 1993.

5- Adam Smith, **"the theory of moral sentiments "**, Prometheus Book, New York 2000.

- **ثالثًا : الموسوعات ودوائر المعارف :**

- مجمع اللغة العربية : **المعجم الفلسفي** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٧٩.

- مجمع اللغة الغربية : **المعجم الوجيز** ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٩٩٩.

The Problem of Good and Evil at Rashdall

By

Nermin Fathi Mustafa Ibrahim

Professor Dr. Ibrahim Talabah Salakha

Professor of Modern and Contemporary Philosophy & College Agent for community service and Development Affairs Environmental

Faculty of Arts_ Tanta University

Abstract:

Man is the only being that combines matter and spirit in one mixture, and that also combines the motives of good and the motives of evil in one mixture as well, and if the origin in him is good, or at least we must assume that, then it is also possible for evil to become tyrannical over the origin or Hardly, perhaps Evil is defeated by a person, but he needs a massive revolution in the depths of his soul, and that revolution requires a spiritual impulse and self-struggle. Our research will deal with the reality of pleasure, according to Rashidal, and how it is a reason not for human happiness, but rather for his misery and his falling into evil, because it is a deception and its happiness is temporary.

Rashdal used his examples to formulate his point of view to explain the nature of pleasure as it controls the sensory side of man, and then it is responsible for the corruption of behavior if it is not controlled, and this is what Rashdal proved, calling for control of

motives, regulation of emotions and control of desires, as we will see through this research The relationship between reason and feeling through Rachedall's philosophical vision, which may help us see the source of moral judgment.

Keywords: problem ; Good and Evil ; at Rashidal.